اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وهي قدرته وعلمه
وذلك لا يجوز على الانبيا لعلمهم بالله وصفاته والمقصود اي المعنى
المراد وعظهم اي الامة اي ارشادهم وتنبيههم على ان لا يتشبهوا
في امورهم بصفات الجاهلين اي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم
الصبر والحرص على سرعة المراد مما هو شان الجهلة وليس في الاية
دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه الله عن الكون عليها
وعليه فالخطاب له والمراد غيره فامره الله تعالى بالتزام الصبر على
اعراض قومه بقوله وان كان كبر عليك اعراضهم الاية المختومة
بالنهي فالمراد بالامر ما يلزم النهي وقد امر بالصبر صريحا في ايات
كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم ولا يجزع من الحرج وهو ضيق
الصدر عند ذلك اي عند اعراضهم عنه هكذا ضبطه شراح
الشفا ويقع هنا محرفا في نسخ المتن ولا يخرج عن ذلك من الخروج كما مشي
عليه الشارح فقال اي والتزام عدم خروجه عن ذلك فيقارب
حاله حال الجاهل بشدة التحسر التاسف والندم بسبب
اعراضهم حكاه ابو بكر بن فورك بضم الفا العلامة الشهير
تقدم غير مرة وقيل معنى الخطاب لامته صلى الله عليه وسلم
لا له فهو تعريض اي فلا تكونوا من الجاهلين اي ممن اتصف
بصفاتهم حكاه ابو محمد وفي نسخة ابو بكر وهو خطا فكنيته ابو
محمد مكي بالميم ابن ابي طالب تقدم ايضا قال مكي ومثله في
القران كثير يخاطب المصطفى والمراد امته وكذلك قوله
وان تطع اكثر من في الارض وهم الكفار بموافقته ما هو عليه
يضلوك عن سبيل الله مع انه علم انه لا يطيعهم فالمراد
غيره وان كان الخطاب له فهو تعريض كما قال تعالى خطابا لغيره
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على
اعقابكم فهو يريد ان المراد بالخطاب في تلك الاية غيره لان القران
يفسر بعضه بعضا وقوله تعالى فان يشا الله يختم يربط على قلبك
وقد علم انه لا يشا ذلك فالمراد غيره والتنظير بهذه بنا على ان
المراد الربط المذموم اما على ان المعنى يربط بالصبر على اذاهم بالصبر
على قولهم افتراه وغيره وقد فعل فليست مما الكلام فيه ولئن اشركت
ليحبطن عملك وقد علم بحانه انه لا يشرك فالمراد غيره وما
اشبه ذلك كقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحياة وقوله لا تكن ناصرا للمبين فالمراد غيره تعريضا وايقاظا
وان هذه حال من اشرك بالله لا حال نبيهم والنبي صلى الله
سلم



عليه وسلم لا يجوز عليه هذا فلا بد من تاويله هذا والله
سبحانه نبهاه عما شا وان لم يكن وقع منه وبامره بما
شا واذا استحال عليه تركه حتى اتق الله فله ان يعامل نبيه بما
يمتنع ان يعامله به غيره كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم اي يعبدونه بالغداة والعشي وما كان طردهم
عليه السلام عن مجلسه وما كان من الظالمين اي ممن ظلمهم
بطردهم لانه لم يفهمه ذلك روى ابن حبان والحاكم عن سعد
بن ابي وقاص قال لقد نزلت هذه الاية في ستة انا وعبد الله ابن
مسعود واربعة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اطردهم فانا نستحيي ان نكون تبعا لك كهولا فوقع في نفس النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تطرد الذين الى قوله
اليس الله باعلم بالشاكرين وفي حديث ابن مسعود عند احمد وغيره
ان الاربعة خباب وصهيب وبلال وعمار وانما هم بذلك رجا اسلام قومه
مع ان ذلك لا يضر اصحابه لعلمه باحوالهم ورضاهم بما يرضاه واما
قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك
هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله
والذين هم عن اياتنا اي دلائل وحدانيتنا غافلون تاركون
النظر فيها لانه صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة
وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم تخطر
ببالك ولم يقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا والغفلة عن
مثل ذلك مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وفي التعبير بالغفلة
اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كانه كان علمه
ونسيه روى ابن جرير عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو
قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص
وروى ابن مردويه عن ابن مسعود مثله واما قوله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية من الشيطان
الرجيم مع عصمته من تسليطه عليهم باذاية او وسوسة وان كانت
الشرطية لا تقتضي الوقوع فمعناه يستخفنك بغضب يحملك
على ترك الاعراض عنهم فهي راجعة لقوله قبلها واعرض عن الجاهلين
اي لا تكافي السفها الذين اغضبوك بمثل افعالهم واعرض عنهم
فهذه الاية كما قيل جامعة لمكارم الاخلاق ولذا لما قال له
جبريل لما ساله عنها ان الله تعالى امرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من مكارم الاخلاق
ومحاسن الاعمال لا من شي بسببه فالغضب على الجاهل
بمثل فعله تاديبا له لا يعد من نزغ الشيطان والاستعاذة مشروعة
عند الغضب فليست الاية منسوخة باية القتال كما قيل والنزغ

Copyright © King Saud University